المحاضرةالثانية: عبد الكريم النهشلي

هو أبو محمد عبد الكريم ابن إبراهيم النهشلي الجزائري المتوفى سنة 405ه بالمهدية (تونس)، أصله من المسيلة (المحمدية)،الجزائر، وقد بلغت درجة عالية من التحضر والعمران حتى صارت عاصمة الشرق الجزائري ومن أكبر مراكز النشاط العلمي في سائر الجزائر.

في هذا الجو نشأ عبد الكريم النهشلي، فقد كان شاعرا وكاتبا وناقدا وهو من علماء اللغة و خبير بأيام العرب. ألف كتابه « الممتع في علم الشعر وعمله » وهو أستاذ ابن رشيق ، وذكره في عمدته.حيث قال عنه "كان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره و تآليفه ".فقد كانت له كتب أخرى غير الممتع إذن لكنها ضاعت كما ضاع الممتع هذا و قد تأثر عبد الكريم بالنقاد المشارقة كـ: قدامه بن جعفر، والآمدي.

تكلم عن قضايا شعرية وأخرى نقدية منها ماهية الشعر، أولية الشعر، بين الشعر والنثر، فضائل الشعر ومزاياه، القيمة الاجتماعية للشعراء في القبيلة ،خلود الشعر، تأثير الشعر في النفوس، دواعي الشعر، أصناف الشعر، أقسام الشعر، الموازنة بين الشعراء وأثر اختلاف البيئة في قول الشعر. وتكلم عن قضايا نقدية أخرى: السرقات الشعرية، اللفظ والمعنى، القديم والحديث والطبع والصنعة.نقد بعض فنون الشعر و أطرافه،الأوزان و القوافي،وهذه النصوص قصيرة جدا و تتسم بالشمول و العموم و يغلب عليها طابع العجلة.

وليس معنى هذا أن عبد الكريم لم يهتم بالنقد كثيرا،ولم يتناول أمهات القضايا النقدية بالدراسة و التحليل،فالواقع عكس ذلك،فهو أديب و شاعر و ناقد في الوقت نفسه،و تتلمذ على يديه خيرة النقاد المغاربة كابن رشيق و ابن شرف و غيرهما،لكن هذا النقد ضاع في جملة ما ضاع،و لم يجمعها أديب.

أولا:رأيه في الشعر:

يرى أن الشعر لم يكن مقصورا على العرب وحدهم،و هو محق في ذلك حسب رأي الناقد بشير خلدون،فالشعر قدر مشترك بين جميع الأمم،وهو ينطلق من أسلوب علمي صحيح،فلكل أمة أحاسيسها و تجاربها، و آدابها و لغتها.

فما مفهوم الشعر عنده؟

هل هو القول الموزون المقفى كما عرفه بعضهم ؟

أم هو القول الموزون المقفى الذي يدل على معنى كما عرفه قدامة؟

إن الشعر عنده لم يكن مجرد ألفاظ موزونة مقفاة، و إنما هو الفطنة،و الشعور،

و هذا ما نجده في قوله « وهو عندهم الفطنة يقال: ليت شعري أي: ليت فطنتي». فهو الفطنة والشعور أي هو عاطفة وأحاسيس ووجدان وهو هنا يتجاوز تعريف قدامه للشعر

ويضيف الحذق والمهارة واستشراف المستقبل، ويجرنا إلى المقارنة بين الشعر والنثر يقول: « الشعر هو أبلغ البيانين وأطول اللسانين وأدب العرب المأثور »

ومن هنا يتبين أن عبد الكريم استطاع أن يفهم مبنى الشعر،فكلامه عن الفطنة إشارة إلى عنصر الوحي و الإلهام الذي هو مصدر للإبداع الفني الخالد.

كما يرى أن أقسام الشعر أربعة: « المديح، الهجاء، الحكمة، اللهو » ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون، فيكون في المديح المراثي، الشكر. ثم من الهجاء : الذم و العتاب. ومن الحكمة: الأمثال، الزهد، المواعظ، ويكون من اللهو: الطرب و صفة الخمر والمخمور.

وقد نظر إلى الشعر نظرة أخلاقية وإن لم يصرح بذلك، فهو يستنكف من الشعر ما يزرع الحقد، ويؤجج نار الفتن والضغائن ولا يتلاءم مع العقيدة الإسلامية، وان الإسلام أولى الشعر مكانة عظيمة. ويسوق قولا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه « الشعر عند قوم لم تكن لهم علم أعلم منه » وقال على رضي الله عنه: « الشعر ميزان القول ».

ثانيا:رأيه في اللفظ والمعني:

انقسم النقاد في هذه القضية فمنهم من فضل المعني وهم قلة ومنهم من فضل اللفظ وهم الكثرة، أما رأيه فعبر عنه ابن رشيق في عمدته حيث يقول: « قال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه – الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل».

وقد نقل ابن رشيق عن عبد الكريم قوله: روى بعض الحذاق (المعنى مثال و اللفظ حذو، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره و يثبت بثباته)، وفي هذين القولين دلالة على اضطراب الناقد حول القضية لكن الرأي الأول هو الصواب (أفضلية اللفظ).

ثالثا: أثر اختلاف البيئة في الشعر:

هذا الموضوع أثير عند فئة من النقاد المشارقة ،فقد أثاره الجاحظ ومن قبله ومن بعده،و يثيره عبد الكريم النهشلي في كتابه "الممتع "فما تستحسنه بيئة تستهجنه بيئة أخرى بحسب اختلاف العادات والأذواق والتقاليد وهذا ما أشار إليه عبد الكريم في كتابه يقول: « قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن من وقت مالا يحسن من آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره.... وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره، ثم يقول :والذي أختاره أن التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة».

إن عبد الكريم يثير موضوعا تعارف عليه النقاد ،(أثر اختلاف البيئة في الشعر)،ثم يدعو إلى الثورة عليه، وهذا هو الناقد الذي يصف الأشياء كما هي في الواقع، وبهذا فقد نقل

عبد الكريم هذا الموضوع إلى مستوى جديد حيث تحدث عن اختلاف إقليمي يترك أثره في الشعر وانتقل من الإقليمية الضيقة إلى أن الشعر الخالد[1] ليس الذي يتثبت بملائمة البيئة الإقليمية وإنما هو الذي ينبني على التجويد والتحسين، ويستضئ بضوء الأحكام النقدية العامة.

تلك هي الدعوة إلى العالمية،لأن الشاعر الذي يبقى متأثرا بالمناخ الضيق و الإقليم و البيئة،فإن شهرته لا تتجاوز حدود بيئته الضيقة و لا يكتب لشعره الخلود ولا يضمن لمعانيه الاستمرار.

رابعـــــا: في الحديث والقديم

نقل ابن رشيق قولا مطولا في عمدته لعبد الكريم النهشلي حول قضية القديم والحديث، وهو يعطي القول الفصل في هذه القضية. فليست المسألة مسألة ماض وحاضر، وإنما هي مسألة توافق وانسجام مع العصر (البيئة) ومع دواعي القول و أغراضه التي يقال فيها و مقاماته.حيث يتحول في سهولة و يسر من هزل إلى جد،ومن رقة إلى جزالة و من وضوح إلى غموض،ومن صنعة إلى طبع أو العكس. فليس هناك فرق عنده بين القديم والجديد وليست العبرة في القديم لقدمه ولا في الحديث لحداثته وإنما العبرة في الأثر الفني الخالد الذي يضمن الاستمرارية والبناء. وهنا يلتقي مع ابن قتيبة الذي جعل العلم .... قدرا مشتركا بين الناس، ولم ينظر إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره وإنما نظرا بالعدل بين الفريقين.

وبهذا يكون عبد الكريم قد حل مشكلة عويصة شغلت النقاد، وأنهى معركة حامية الوطيس بين أنصار القديم والحديث، وقد رد الأمر إلى نصابه بتحديد الذين يضعون الخصائص الفنية للتجويد والتحسين في كل عصر، وهم علماء الناس بالشعر.

خامسا:السرقات:

يعتبر عبد الكريم النهشلي شيخ النقاد المغاربة ولكن الفضل في نقل آراءه يعود إلى تلميذه ابن رشيق الذي نقل عنه نصا يتحدث فيه عن السرقة فقد جاء في العمدة: قال عبد الكريم «السرقة في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه » و السرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشعر لا في المعاني المشتركة . و يقول أيضا: «واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات » ولعل هذه الفكرة ثلاثية الأركان أحسن ما قيل في السرقات.

وهكذا يتفق عبد الكريم مع النقاد في المشرق أن السرقة لا تكون إلا في المعاني أولا، ثم في البديع المخترع الذي يختص به شاعر بعينه. وليست في المعاني المشتركة التي هي جارية على ألسنة الناس.

---

[1] الشعر الخالد: يخلد بحسنه وجودته مثل أشعار المتنبي.

هذه الآراء يمكن اعتبارها اللبنات الأولى في التأسيس للنقد الجزائري و المغربي القديم.

المراجع:

-ابن رشيق:العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده.
-محمد مرتاض:النقد الأدبي في المغرب العربي.
-عبد العزيز قلقيلة:النقد الأدبي في المغرب العربي.
-إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب.
-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي.